KINGDOM OF BAHRAIN
Ministry of Education

مملكة البحرين
وزارة التربية والتعليم

اللجنة المنظمة لجائزة القرآن الكريم والسنة النبوية

جائزة
القرآن الكريم والسنة النبوية (٤٧)

الأحاديث النبوية المقررة
للعام الدراسي ٢٠٢١/٢٠٢٢م

المرحلة الثانوية

(باب الإخلاص وإحضار النية وباب التوبة)

١ –عَنْ سعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رضِي اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جَاءَنِي رسولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَعُودُنِي عَامَ حَجَّة الْوَداعِ مِنْ وَجعٍ اشْتدَّ بِي فَقُلْتُ: يا رسُول اللَّهِ إِنِّي قَدْ بلغَ بِي مِن الْوجعِ مَا تَرى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنةٌ لِي، فأتصدق بثلثي مالِي؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: فالشَّطْرُ يَارسوُلَ الله؟ فقالَ: لا، قُلْتُ فالثُّلُثُ يا رسول اللَّه؟ قال: الثُّلثُ والثُّلُثُ كثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَذرَ وَرثتك أغنِياءَ خَيْرٌ مِن أَنْ تذرهُمْ عالَةً يَتكفَّفُونَ النَّاس، وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِق نَفَقةً تبْتغِي بِهَا وجْهَ الله إِلاَّ أُجرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى ما تَجْعلُ في فِيّ امْرَأَتكَ قَال: فَقلْت: يَا رَسُولَ الله أُخَلَّفَ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَال: إِنَّك لن تُخَلَّفَ فتعْمَل عَمَلاً تَبْتغِي بِهِ وَجْهَ الله إِلاَّ ازْددْتَ بِهِ دَرجةً ورِفعةً ولعَلَّك أَنْ تُخلَّف حَتَى ينْتفعَ بكَ أَقَوامٌ وَيُضَرَّ بك آخرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحابي هجْرتَهُم، وَلاَ ترُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهم، لَكن الْبائسُ سعْدُ بْنُ خوْلَةَ «يرْثى لَهُ رسولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم» أَن مَاتَ بمكَّةَ» متفقٌ عليه.

الشرح

جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعود سعد بن أبي وقاص في مرضٍ ألمَّ به، وذلك في مكة، وكان سعد رضي الله عنه من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فتركوا بلدهم لله عز وجل، وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعود المرضى من أصحابه، كما أنه يزور من يزور منهم؛ لأن صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس خُلُقاً؛ على أنه الإمام المتبوع. صلوات الله وسلامه عليه، كان من أحسن الناس خلقاً، وألينهم بأصحابه، وأشدهم تحبُّبًا إليهم.

فجاءه يعوده، فقال سعد: يا رسول الله: ((إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى)) أي: أصابه الوجع العظيم الكبير.

((**وأنا ذو مال كثير –أو كبير**)) أي: أن عنده مالاً كبيراً.

((**ولا يرثني إلا ابنة لي**)) أي: ليس له ورثة بالفرض إلا هذه البنت.

((**أفأتصدق بثلثي مالي**)) يعني بثلثيه: اثنين من ثلاثة!

((**قال: لا. قلت: الشطر يا رسول**)) أي: بالنصف.

((**قال: لا. قلت: بالثلث قال: الثلث والثلث كثير**)).

فقوله: ((**أفأتصدق**)) أي أعطيه صدقة؟ فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ لأن سعداً في تلك الحال كان مريضاً مرضاً يخشى منه الموت، فلذلك منعه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بأكثر من الثلث.

لأن المريض مرض الموت المخوف لا يجوز أن يتصدق بأكثر من الثلث، لأن ماله قد تعلق به حق الغير؛ وهم الورثة. أما من كان صحيحاً ليس فيه مرض، أو فيه مرض يسير لا يخشى منه الموت، فله أن يتصدق بما شاء؛ بالثلث، أو بالنصف، أو بالثلثين، أو بماله كله، لا حرج عليه.

لكن لا ينبغي أن يتصدق بماله كله؛ إلا إن كان عنده شيء يعرف أنه سوف يستغني به عن عباد الله.

المهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم منعه أن يتصدق بما زاد عن الثلث.

وقال: ((**الثلث، والثلث كثير –أو كبير**)) وفي هذا دليل على أنه إذا نقص عن الثلث فهو أحسن وأكمل؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((لو أن الناس غَضُّوا من الثلث إلى الربع))؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**الثلث والثلث كثير**)).

قال فقهاؤنا رحمهم الله والأفضل أن يوصي بالخمس، لا يزيد عليه؛ اقتداء بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**)).

أي: كونك تُبقي المال ولا تتصدق به؛ حتى إذا مت وورثه الورثة صاروا أغنياء به، هذا خير من أن تذرهم عالة، لا تترك لهم شيئاً ((يتكفَّفون الناس)) أي: يسألون الناس بأكفهم؛ أعطونا أعطونا.

وفي هذا دليل على أن الميت إذا خلَّف مالاً للورثة فإن ذلك خير له.

لأنك إذا تركت المال للورثة انتفعوا به، وهم أقارب، وإن تصدقت به انتفع به الأباعد، والصدقة على القريب أفضل من الصدقة على البعيد، لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة.

ثم قال ((**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرتَ عليها، حتى ما تجعله في فيْ امرأتك**)) يقول: لن تنفق نفقة؛ أي: لن تنفق مالاً؛ دراهم أو دنانير أو ثياباً، أو فرشاً أو طعاماً أو غير ذلك تبتغي به وجه الله إلا أجرت عليه.

((**حتى ما تجعله في فِيْ امرأتك**)) أي: حتى اللقمة التي تطعمها امرأتك تؤجر عليها إذا قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق على الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقالت أنفق أو طلِّق، ومع هذا إذا أنفقت على زوجتك تريد به وجه الله آجرك الله على ذلك.

وكذلك إذا أنفقت على أولادك؛ أو أنفقت على أمِّك، وعلى أبيك، بل إذا أنفقت على نفسك تبتغي بذلك وجه الله؛ فإن الله يثيبك على هذا.

ثم قال رضي الله عنه: ((**أخلَّفُ بعد أصحابي**)) يعني: هل أتأَخَّرُ بعد أصحابي فأموت بمكة. فَبَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يُخَلَّفَ فقال: ((**إنك لن تخلف**)) وبَيَّن له أنه لو خلّف ثم عمل عملاً يبتغي به وجه الله إلا ازداد به عن الله درجة ورفعة.

يعني: لو فرض أنك خُلّفت ولم تتمكن من الخروج من مكة، وعملت عملاً تبتغي به وجه الله؛ فإن الله تعالى يزيدك به رفعة ودرجة، رفعة في المقام والمرتبة، ودرجة في المكان.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**ولعلك أن تخلف**)) **أن تُخَلَّفَ**: هنا غير أن تخلَّف **الأولى** ((**لعلّك أن تُخَلّف**)): أي تُعمر في الدنيا؛ وهذا هو الذي وقع. فإن سعد ابن أبي وقاص عمر زماناً طويلاً، حتى إنه–رضي الله عنه–كما ذكر العلماء، خلف سبعة عشر ذكراً واثنتي عشرة بنتاً.

وكان في الأول ليس عنده إلا بنت واحدة، ولكن بقي وعُمُّر ورُزق أولاداً. سبعة عشر ابنا واثنتي عشرة ابنة.

قال: ((**ولعلك أن تُخلَّف**)) ((**حتى ينتفع بك أقواماً ويضر بك آخرون**)) وهذا الذي حصل، فإن سعداً ــ رضي الله عنه –خُلِّف وصار له أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وفتح فتوحات عظيمة كبيرة، فانتفع به أقوام وهم المسلمون، وضُرَّ بهِ آخرون وهم الكفار.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم**)) سأل الله أن يمضي لأصحابه هجرتهم وذلك بأمرين:

الأمر الأول: ثباتهم على الإيمان؛ لأنه إذا ثبت الإنسان على الإيمان ثبت على الهجرة.

والأمر الثاني: ألا يرجع أحدهم منهم إلى مكة بعد أن خرج منها؛ مهاجراً إلى الله ورسوله.

لأنك إذا خرجت من البلد مهاجراً إلى الله ورسوله؛ فهو كالمال الذي تتصدق به. يكون البلد مثل المال الذي تتصدق به لا يمكن أن ترجع فيه. وهكذا كل شيء تركه الإنسان لله لا يرجع فيه.

وقوله: ((**ولا تردهم على أعقابهم**)) أي لا تجعلهم ينتكسون عن الإيمان فيرتدُّون على أعقابهم؛ لأن الكفر تأخر، والإيمان تقدم، فالمتقدمون هم المؤمنون، والتقدم يكون بالإيمان، والرِّده تكون نكوصاً على العقبين؛ كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام –هنا: ((**ولا تردهم على أعقابهم**)).

وفي هذا الحديث من الفوائد فوائد عظيمة كثيرة!!

منها: أن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم عيادة المرضى، لأنه عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، **وفي عيادة المرضى فوائد للعائد وفوائد للمَعُود**:

أما **العائد** فإنه يؤدي حق أخيه المسلم؛ لأن من حق أخيك المسلم أن تعوده إذا مرض.

ومنها: أن الإنسان إذا عاد المريض فإنه لا يزال في مَخْرَفَة الجنة، يعني يجني ثمار الجنة حتى يعود.

ومنها: أن في ذلك تذكيراً للعائد بنعمة الله عليه بالصحة، لأنه إذا رأى هذا المريض، ورأى ما هو فيه من المرض، ثم رجع إلى نفسه، ورأى ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية؛ لأن الشيء إنما يعرف بضدّه.

ومنها: أن فيها جَلْباً للمودة والمحبة، فإن الإنسان إذا عاد المريض صارت هذه العيادة في قلب المريض دائماً، يتذكرها، وكلما ذكرها أحبَّ الذي يعوده، وهذا يظهر كثيراً فيما إذا برأ المريض، وحصلت منه ملاقاة لك تجده يتشكّر منك، وتجد أن قلبه ينشرح بهذا الشيء.

أما **الفوائد التي تعود على المعود:** فإن له فيها فائدة أيضاً، لأنها تُؤنِسُه، وتشرح صدره، ويزول عنه ما فيه من الهم والغم والمرض. وربما يكون العائد موفقاً يذكره بالخير والتوبة والوصية؛ إذا كان يريد أن يوصي بشيء عليه من الديون وغيرها، فيكون في ذلك فائدة كبيرة للمعود.

ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن عاد المريض أن يُنَفِّسَ له في أجله؛ أي يفرحه يقول: ما شاء الله، أنت اليوم في خير والحمد لله، وما أشبه ذلك مما يدخل عليه السرور.

وينبغي أيضاً أن يذكّره التوبة، لكن لا يقول له ذلك بصفة مباشرة؛ لأنه ربما ينزعج، ويقول في نفسه لو أن مرضي غير خطير ما ذكَّرني بالتوبة.

كذلك أيضاً إذا رأيت أن المريض يحب أن تُطيل المقام عنده، فأطل المقام؛ فأنت على خير وعلى أجر، فأطل المقام عنده، وأدخل عليه السرور، ربما يكون في دخول السرور على قلبه سبباً لشفائه؛ لأن سرور المريض وانشراح صدره من أكبر أسباب الشفاء، فإذا رأيت أنه يحبُّك تبقى فابق عنده، وأطل الجلوس عنده حتى تعرف أنه قد مَلَّ.

ومن فوائده: حُسنُ خلق النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان يعود أصحابه، ويزورهم، ويسلم عليهم، حتى إنه يمر بالصبيان الصّغار فيسلم عليهم، صلوات الله وسلامه عليه.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغي للإنسان مشاورة أهل العلم، لأن سعد بن أبي وقاص، –رضي الله عنه –استشار النبي صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يتصدق بشيء من ماله، ففيه استشارة أهل العلم والرأي، ولهذا يقال: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وفيه أيضاً من الفوائد: أنه ينبغي للمستشير أن يذكر الأمر على ما هو عليه حقيقة، وأسبابه، وموانعه وجميع ما يتعلق به، حتى يتبين للمستشار حقيقة الأمر، ويبني مشورته على هذه الحقيقة، والمستشار، عليه أن يتقي الله –عز وجل–فيما أشار فيه.

ومن فوائد الحديث: أنه لا يجوز للمريض مرضاً مخوفاً أن يعطي أكثر من الثلث إلا إذا أجازه الورثة؛ لأن الورثة تعلق حقهم بالمال لما مرض الرجل، فلا يجوز أن يعطي أكثر من الثلث، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الثلثين: لا، وفي النصف: لا، وقال: ((**الثلث والثلث كثير**)).

وفيه: دليل على أنه ينبغي أن يكون عطاؤه أقل من الثلث، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن الناس غضُّوا من الثلث إلى الربع لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**الثلث والثلث كثير**)).

ومن فوائد الحديث: أنه لا يجوز للإنسان إذا كان مريضاً مرضاً يُخشى منه الموت أن يتبرع بأكثر من الثلث من ماله، لا صدقة، ولا مشاركة في بناء مساجد، ولا هبة، ولا غير ذلك. لا يزيد على الثلث لأن النبي صلى الله عليه وسلم منع سعد بن أبي وقاص أن يتصدق بما زاد عن الثلث.

ومن فوائده: أنه ينبغي أن يغضَّ من الثلث؛ يعني: الربع، الخمس، دون ذلك. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى استحباب الغض من الثلث في قوله ((**والثلث كثير**))؛ وبهذا استدل عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما –حيث قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**الثلث والثلث كثير**)).

والوصية كالعطيَّة، فلا يجوز أن يوصي الإنسان بشيء من ماله بعد موته زائداً على الثلث، فليكنْ من الثلث فأقل.

والأفضل في الوصية أن تكون بخُمس المال؛ لأن أبا بكر –رضي الله عنه –قال: أرضى بما رضيه الله لنفسه: الخمس، فأوصى بالخمس –رضي الله عنه –ومن ثم قال فقهاؤنا–رحمهم الله –: يسن أن يوصي بالخمس إن ترك مالاً كثيراً.

ومن **فوائد هذا الحديث أنه:** إذا كان مال الإنسان قليلاً، وكان ورَثَته فقراء؛ فالأفضل ألا يُوصي بشيء، لا قليل، ولا كثير؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: ((**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة**)) خلافاً لما يظنه بعض العوام أنه لابد من الوصية، فهذا خطأ، والإنسان الذي ماله قليل وورثته فقراء ليس عندهم مال، لا ينبغي له أن يوصي، الأفضل ألا يوصي.

ومن فوائد هذا الحديث: خوف الصحابة المهاجرين من مكة أن يموتوا فيها؛ لأن سعدًا رضي الله عنه قال: ((**أُخلَّف بعد أصحابي**)) وهذه الجملة استفهامية والمعنى ((**أَأُخَلَّفُ؟**)) وهذا استفهام توقعي مكروه، يعني أنه لا يحب أن يتخلف فيموت في مكة وقد خرج منها مهاجراً إلى الله ورسوله، وهكذا كل شيء تركه الإنسان لله لا ينبغي أن يرجع فيه.

ومن فوائد الحديث: ظهور معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: ((**إنك لن تُخلَّف وسوف تخلف حتى يضر بك أقوام وينتفع بك آخرون**)) فإن الأمر وقع كما توقعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن سعدًا – رضي الله عنه– بقي إلى خلافة معاوية وعُمّرَ طويلاً بعد قول الرسول صلى الله عليه وسلم له، وهذا من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أن يخبر عن شيء مستقبل فيقع كما أخبر به عليه الصلاة والسلام، ولكن هذا ليس خبرا محضاً، بل توقع، لقوله: ((**لعلك أن تُخلف**)) فلم يجزم، ولكن كان الأمر كما توقعه النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه ما من إنسان يعمل عملاً يبتغي به وجه الله إلا ازداد به رفْعة ودرجة، حتى وإن كان في مكان لا يحل له البقاء فيه، لأن العمل شيء والبقاء شيء آخر.

ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم: أنّ الإنسان إذا صلى في أرض مغصوبة فإن صلاته صحيحة، لأن النهي ليس عن الصلاة بل النهي عن الغضب.

ومن فوائد هذا الحديث: أنّ الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجْه الله فإنه يُثاب عليها، حتى النفقات على أهله وعلى زوجته، بل وعلى نفسه؛ إذا ابتغى بها وجه الله أثابه الله عليها.

وقوله: ((لكنَّ البائس سعد بن خولة...)) سعد بن خولة -رضي الله عنه -من المهاجرين الذين هاجروا من مكة ولكن الله قدر أن يموت فيها؛ فمات فيها، فرثى له النبي عليه الصلاة والسلام؛ أي: توجَّع له أن مات بمكة؛ وقد كانوا يكرهون للمهاجر أن يموت في الأرض التي هاجر منها.

* * *

٢ – عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نفر مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ .قال رجلٌ مِنهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلاً وَلا مالاً فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْماً فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِميْنِ ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِى أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَميّ فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ...» متفق عليه

الشرح

قوله: ((**انطلق ثلاثة نفر**)) أي: ثلاثة رجال.

((**فآواهم المبيت فدخلوا في غار**)) يعني: ليبيتوا فيه والغار: هو ما يكون في الجبل مما يدخله الناس يبيتون فيه، أو يتظلَّلُون فيه عن الشمس، وما أشبه ذلك. فهم دخلوا حين آواهم المبيت إلى هذا الغار، فتدحرجت عليهم صخرة من الجبل حتى سدَّت عليهم باب الغار، ولم يستطيعوا أن يزحزحوها؛ لأنها صخرة كبيرة. فرأوا أن يتوسَّلوا إلى الله –سبحانه وتعالى –بصالح أعمالهم.

فذكر أحدهم برَّه التام بوالديه، وذكر الثاني عفَّته التامة، وذكر الثالث وَرَعَه ونُصحه.

أما الأول: يقول إنه كان له أبوان شيخان كبيران ((**وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً**)) **الأهل:** مثل الزوجة والأولاد، **والمال:** مثل الأرقاء وشبهه.

وكان له غنم، فكان يسرح فيها ثم يرجع في آخر النهار، ويحلب الغنم، ويعطي أبويه–الشيخين الكبيرين –ثم يعطي بقية أهله وماله.

يقول: ((**فنأى به طلب الشجر ذات يوم**)) أي: أبعد بي طلب الشجر الذي يرعاه. فرجع، فوجد أبويه قد ناما، فنظر، هل يسقي أهله وما له قبل أبويه، أو ينتظر حتى يستيقظ الأبوان، فرجَّح الثاني، يعني أنه بقي، فأمسك الإناء بيده حتى برق الفجر؛ أي حتى طلع الفجر–وهو ينتظر استيقاظ أبويه–، فلما استيقظا وشربا اللبن أسقى أهله وماله.

قال: ((**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه**)) ومعناه: اللهم إن كنت مخلصاً في عملي هذا-فعلتُه من أجلك-فافرج عنا ما نحن فيه.

وفي هذا دليل على الإخلاص لله -عز وجل-في العمل، وأن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول العمل، فتقبل الله منه هذه الوسيلة وانفرجت الصخرة؛ لكن انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه.

أما الثاني: فتوسَّل إلى الله عز وجل – بالعفة التامة؛ وذلك أنه كان له ابنة عمٍّ، وكان يحبها حباً شديداً كأشدِّ ما يحب الرجال النساء((**فأرادها على نفسها**)) أي أرادها- والعياذ بالله- بالزنا؛ ليزني بها، ولكنها لم توافق وأبَتْ، فألمت بها سنة من السنين، أي: أصابها فقر وحاجة، فاضطرَّت إلى أن تجود بنفسها في الزنا من أجل الضرورة، وهذا لا يجوز، ولكن على كل حال؛ هذا الذي حصل، فجاءت إليه، فأعطاها مائة وعشرين دينارا، من أجل أن تمكنه من نفسها، ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها، قالت له هذه الكلمة العجيبة العظيمة: ((**اتقِ الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه**)).

فخوفته بالله- عز وجل- وأشارت إليه إلى أنه إن أراد هذا بالحق وهو الزواج والحلال فلا مانع عندها، لكن كونه يفضُّ الخاتم بغير حق أي بالحرام، فهي لا الحرام، ترى أن هذا من المعاصي؛ ولهذا قالت له: اتقِ الله، فلما قالت له هذه الكلمة – التي خرجت من أعماق قلبها- دخلت في أعماق قلبه، وقام عنها وهي أحب الناس عليه، وما زال يرغب فيها، وحبها باقٍ في قلبه، لكن أدركه خوف الله -عز وجل- فقام عنها وهي أحب الناس إليه، وترك لها الذهب الذي أعطاها – مائة وعشرين ديناراً، ثم قال: ((**اللهم إن كنت فعلت هذا لأجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، إلا أنهم لا يستطيعون الخروج**)) وهذا من آيات الله؛ لأن الله على كل شي ء قدير، لو شاء الله تعالى لانفرجت عنهم بأول مرة.

ولكنه-سبحانه وتعالى-أراد أن يُبقي هذه الصخرة؛ حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسَّل به من صالح الأعمال.

وأما الثالث: فتوسَّل إلى الله -سبحانه وتعالى-بالأمانة والإصلاح والإخلاص في العمل، فإنه يذكُر أنّه استأجر أجراء على عمل من الأعمال؛ فأعطاهم أجورهم، إلا رجلاً واحداً ترك أجره فلم يأخذه. فقام هذا المستأجر فثمَّر المال، فصار يتكسب به بالبيع والشراء وغير ذلك، حتى نما وصار منه إبل وبقر وغنم ورقيق وأموال عظيمة.

فجاءه بعد حين، فقال له: يا عبد الله أعطني أجري. فقال له: كل ما ترى فهو لك؛ من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: لا تستهزيء بي، الأجرة التي لي عندك قليلة، كيف لي كل ما أرى من الإبل والبقر والغنم والرقيق؟ لا تستهزيء بي. فقلت: هو لك، فأخذه واستاقه كله ولم يترك له شيئاً.

اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، وانفتح الباب، فخرجوا يمشون)) لأنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم التي فعلوها إخلاصاً لله عز وجل.

ففي هذا الحديث من الفوائد والعبر: فضيلةُ بِرِّ الوالدين؛ وأنه من الأعمال الصالحة التي تفرج بها الكربات، وتزال بها الظلمات.

وفيه: فضيلة العفة عن الزنا، وأن الإنسان إذا عف عن الزنا–مع قدرته عليه–فإن ذلك من أفضل الأعمال، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ((رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)).

فهذا الرجل مَكَّنَتْهُ هذه المرأة التي يحبها من نفسها، فقام خوفاً من الله عز وجل، فحصل عنده كمال العفة، فيرجى أن يكون ممن يُظلُّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وفي هذا الحديث أيضاً: دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير، فإن هذا الرجل بإمكانه–لما جاءه الأجير–أن يعطيه أجرته، ويبقى هذا المال له، ولكن لأمانته وثقته وإخلاصه لأخيه ونصحه له؛ أعطاه كل ما أثمر أجره.

ومن فوائد هذا الحديث: بيان قدرة الله –عز وجل–حيث إنه تعالى أزاح عنهما الصخرة بإذنه، لم تأتِ آلة تزيلها، ولم يأتِ رجال يزحزحونها، وإنما هو أمر الله عز وجل أمر هذه الصخرة أن تنحدر فتنطبق عليهم ثم أمرها أن تنفرج عنهم، والله سبحانه–على كل شيء قدير.

وفيه من العبر: أن الله تعالى سميع الدعاء؛ فإنه سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم.

وفيه من العبر: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات؛ لأن كل واحد منهم يقول: ((**اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه**)).

أما الرياء–والعياذ بالله–والذي لا يفعل الأعمال إلا رياءً وسمعة، حتى يمدح عند الناس؛ فإن هذا كالزبد يذهب جُفَاءً، لا ينتفع منه صاحبه، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص له؛ فالإخلاص هو كل شيء لا تجعل لأحد من عبادتك نصيباً، اجعلها كلها لله وحده، عز وجل–حتى تكون مقبولة عند الله؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)).

* * *

(باب التوبة)

٣ –عنْ أبي سعِيدٍ سَعْد بْنِ مالك بْنِ سِنانٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه أَن نَبِيَّ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَال: «كان فِيمنْ كَانَ قَبْلكُمْ رَجُلٌ قتل تِسْعةً وتِسْعين نفْساً، فسأَل عن أَعلَم أَهْلِ الأَرْضِ فدُلَّ على راهِبٍ، فَأَتَاهُ فقال: إِنَّهُ قَتَل تِسعةً وتسعِينَ نَفْساً، فَهلْ لَهُ مِنْ توْبَةٍ؟ فقال: لا فقتلَهُ فكمَّلَ بِهِ مِائةً ثمَّ سألَ عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالِمٍ فقال: إِنّهَ قَتل مائةَ نفسٍ فهلْ لَهُ مِنْ تَوْبةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ ومنْ يحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التوْبة؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كذا وكذا، فإِنَّ بها أُناساً يعْبُدُونَ الله تعالى فاعْبُدِ الله مَعْهُمْ، ولا تَرْجعْ إِلى أَرْضِكَ فإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فانطَلَق حتَّى إِذا نَصَف الطَّرِيقُ أَتَاهُ الْموْتُ فاختَصمتْ فيهِ مَلائكَةُ الرَّحْمَةِ وملائكةُ الْعَذابِ. فقالتْ ملائكةُ الرَّحْمَةَ: جاءَ تائِباً مُقْبلا بِقلْبِهِ إِلى اللَّهِ تعالى، وقالَتْ ملائكَةُ الْعذابِ: إِنَّهُ لمْ يَعْمَلْ خيْراً قطُّ، فأَتَاهُمْ مَلكٌ في صُورَةِ آدمي فجعلوهُ بيْنهُمْ أَي حكماً فقال: قيسوا ما بَيْن الأَرْضَين فإِلَى أَيَّتهما كَان أَدْنى فهْو لَهُ، فقاسُوا فوَجَدُوه أَدْنى إِلَى الأَرْضِ التي أَرَادَ فَقبَضْتهُ مَلائكَةُ الرَّحمةِ» متفقٌ عليه.

الشرح

نقل المؤلف–رحمه الله–عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري–رضي الله عنه–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم إنه ندم وسأل عن أعلم أهل الأرض يسأله: هل له من تَوْبَة؟ فدُلَّ على رجل، فإذا هو راهب –يعني عابداً–ولكن ليس عنده علم، فلما سأله قال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فاستعظم الراهب هذا الذنب وقال: ليس لك توبة! فغضب الرجل وانزعج وقتل الراهب؛ فأتم به مائة نفس، ثم إنه سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال له: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم! ومن الذي يحول بينه وبين التوبة؟ باب التوبة مفتوح، ولكن اذهب إلى القرية الفلانيّة؛ فإن فيها قوماً يعبدون الله. والأرض التي كان فيها كأنها–والله أعلم–دار كفر فأمره هذا العالم أن يهاجر بدينه إلى هذه القرية التي يعبد فيها الله–سبحانه وتعالى–، فخرج تائبا نادماً مهاجراً بدينه إلى الأرض التي فيها القوم الذين يعبدون الله عز وجل. وفي مُنتصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ لأن الكافر_ والعياذ بالله _تقبض روحه ملائكة العذاب، والمؤمن تقبض روحه ملائكة الرحمة، فاختصموا؛ ملائكة العذاب تقول: إنه لم يعمل خيرا قط؛ أي: بعد توبته ما عمل خيرا. وملائكة الرحمة تقول: إنه تاب وجاء نادماً تائباً، فحصل بينهما خصومة، فبعث الله إليهم ملكاً ليحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين

فإلى أيتهما كان أقرب فهو له؛ يعني فهو من أهلها. إن كانت أرض الكفر أقرب إليه فملائكة العذاب تقبض روحه، وإن كان إلى بلد الإيمان أقرب فملائكة الرحمة تقبض روحه.

فقاسوا ما بينهما؛ فإذا البلد التي اتجه إليها-وهي بلد الإيمان -أقرب من البلد التي هاجر منها بنحو شبر -مسافة قريبة -فقبضته ملائكة الرحمة.

ففي هذا دليل على فوائد كثيرة:

منها: أن القاتل إذا قتل إنساناً عمداً ثم تاب فإن الله -تعالى-يقبل توبته، ودليل ذلك في كتاب الله قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء ٤٨]، يعني ما دون الشرك، فإن الله تعالى يغفره إذا شاء.

وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

وذكر عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-أن القاتل ليس له توبة؛ لأن الله يقول:﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾[النساء ٩٣].

ولكن ما ذهب إليه الجمهور هو الحق، وما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-فإنه يمكن أن يحمل على أنه ليس توبة بالنسبة للمقتول؛ وذلك لأن **القاتل إذا قتل تعلق فيه ثلاثة حقوق:**

الحق الأول: لله، والثاني: للمقتول، والثالث: لأولياء المقتول.

أما حق الله؛ فلا شك أن الله تعالى يغفره بالتوبة، لقول الله تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ ﴾[الزمر ٥٣].

ولقوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠].

وأما حق المقتول؛ فإن توبة القاتل لا تنفعه ولا تؤدي إليه حقه؛ لأنه مات، ولا يمكن الوصول إلى استحلاله، أو التبرؤ من دمه، فهذا هو الذي يبقى مطالباً به القاتل ولو تاب، وإذا كان يوم القيامة فالله يفصل بينهما.

وأما حق أولياء المقتول، فإنها لا تصح توبة القاتل؛ حتى يسلِّم نفسه إلى أولياء المقتول، ويقر بالقتل، ويقول: أنا القاتل، وأنا بين أيديكم، إن شئتم اقتلوني وإن شئتم خذوا الدية، وإن شئتم اسمحوا، فإذا تاب إلى الله، وسلَّم نفسه لأولياء المقتول-يعني لورثته -فإن توبته تصح، وما بينه وبين المقتول يكون الحكم فيه إلى الله يوم القيامة.

* * *

(باب التوبة)

٤- عَنْ عِمْرانَ بْنِ الحُصيْنِ الخُزاعيِّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرأَةً مِنْ جُهينةَ أَتَت رَسُولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا ، فقَالَتْ : يَا رسول الله أَصَبْتُ حَدّاً فأَقِمْهُ عَلَيَّ ، فَدَعَا نَبِيُّ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَلِيَّهَا فَقَالَ : أَحْسِنْ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُها ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمتْ ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسهَا للَّهِ عَزَّ وجَل؟» رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف-رحمه الله تعالى-فيما نقله عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه: إنَّ امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ((**وهي حبلى من الزنا**)) يعني حاملاً قد زنت، رضي الله عنها.

((**فقالت: يا رسول الله إني قد أصبت حدا فأقمه عليَّ**)) أي: أصبت شيئاً يوجب الحد فأقمه عليَّ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وليَّها وأمره أن يحسن إليها فإذا وضعت فليأتِ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وضعت أتى بها وليُّها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ((**فأمر بها فَشُدَّت عليها ثيابها**)) أي: لفت ثيابها وربطت لئلا تنكشف ((**ثم أمر بها فرُجِمت**)) أي: بالحجارة: وهي ليست كبيرة ولا صغيرة، حتى ماتت، ثم صلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ودعا لها دعاء الميت: ((**فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زَنَت**)) أي: والزنى من كبائر الذنوب، فقال: ((**لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**)) يعني: توبة واسعة لو قُسِمت على سبعين كلهم مُذنب لوسعتهم ونفعتهم، ((**وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل**)) أي: هل وجدت أفضل من هذه الحال، امرأة جاءت فجادت بنفسها ؛ يعني : سلَّمَت نفسها من أجل التقرب إلى الله - عز وجل- والخُلُوص من إثم الزنى. ما هناك أفضل من هذا؟!

ففي هذا الحديث دليل على فوائد كثيرة:

منها: أن الزاني إذا زنى وهو محصن-يعني قد تزوَّج-فإنه يجب أن يرجم وجوباً؛ وقد كان هذا في كتاب الله-عز وجل-آية قرأها المسلمون وحفظوها ووعوها ونفّذوها، رَجَمَ النبي صلى الله عليه وسلم ورجم الخلفاء من بعده، ولكن الله بحكمته نسخها من القرآن لفظاً وأبقى حُكمها في هذه الأمة. فإذا

زنى المحصن–وهو الذي قد تزوج –فإنه يُرجم حتى يموت. يُوقف في مكان واسع، ويجتمع الناس، ويأخذون من الحصى يرمونه به حتى يموت.

وهذه من حكمه الله عز وجل، أي: أنه لم يأمر الشرع بأن يقتل بالسيف وينتهي أمره بل يرجم بهذه الحجارة حتى يتعذب ويذوق ألم العذاب في مقابل ما وَجَدَه من لذة الحرام؛ لأن هذا الزاني تلذذ جميع جسده بالحرام، فكان من الحكمة أن ينال هذا الجسد من العذاب بقدر ما نال من اللذة.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إنه لا يجوز أن يرجم بالحجارة الكبيرة؛ لأن الحجارة الكبيرة تُجْهِزُ عليه ويموت سريعاً فيستريح، ولا بالصغيرة جداً لأن هذه تؤذيه وتُطيلُ موته، ولكن بحصًى متوسط حتى يذوق الألم ثم يموت.

فإذا قال قائل: أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح))، والقتلة بالسيف أريح للمرجوم من الرجم بالحجارة؟

قلنا: بلى قد قاله الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن إحسان القتلة يكون بموافقتها للشرع، فالرجم إحسان لأنه موافق للشرع، ولذلك لو أن رجلاً جنى على شخص فقتله عمداً وعزرَ به قبل أن يقتله فإننا نُعَزِّرُ بهذا الجاني إذا أردنا قتله قبل أن نقتله.

مثلاً: لو أن رجلاً جانيا قتل شخصاً فقطَّع–مثلاً–يديه، ثم رجليه، ثم لسانه، ثم رأسه. فإننا لا نقتل الجاني بالسيف!! بل نقطع يديه، ثم رجليه، ثم لسانه، ثم نقطع رأسه مثلما فعل، ويعتبر هذا إحساناً في القتلة، لأن إحسان القتلة أن يكون موافقاً للشرع على أي وجه كان.

وفي هذا الحديث دليل على جواز إقرار الإنسان على نفسه بالزنى؛ من أجل تطهيره بالحد لا من أجل فضحه نفسه. فالإنسان الذي يتحدث عن نفسه أنه زنى، عند الإمام أو نائبه؛ من أجل إقامة الحد عليه، هذا لا يُلام ولا يُذَمُّ.

وأما الإنسان الذي يخبر عن نفسه بأنه زنى، يخبر بذلك عامة الناس؛ فهذا فاضح نفسه وهو من غير المعافين؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل أمتي معافى إلا المجاهرين. قالوا: مَن المجاهرون؟ قال: الذي يفعل الذنب ثم يستُرُه الله عليه ثم يصبح يتحدث به)).

إذا قال قائل هل الأفضل للإنسان إذا زنى أن يذهب إلى القاضي ليقر عنده، فيقام عليه الحد، أو الأفضل أن يستُرَ نفسه؟ فالجواب عن هذا أن في ذلك تفصيلاً.

قد يكون الإنسان تاب توبة نصوحاً، وندم، وعرف من نفسه أنه لن يعود فهذا الأفضل ألا يذهب ولا يخبر عن نفسه، بل يجعل الأمر سرًّا بينه وبين الله، ومن تاب تاب الله عليه.

وأما من خاف ألا تكون توبته نصوحا، وخاف أن يعود ويرجع إلى الذنب مرة أخرى؛ فهذا الأفضل في حقِّه أن يذهب إلى وليِّ الأمر، أو إلى القاضي أو غيره، ليُقِرَّ عنده فيقام عليه الحدُّ.

* * *

(باب الصبر)

٥- وعنْ أُسامَة بن زيد بن حَارِثَةَ مَوْلَى رسُول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وحِبِّهِ وابْنِ حِبِّهِ رضِيَ الله عنهُمَا ، قالَ : أَرْسلَتْ بنْتُ النَّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : إنَّ ابْنِي قَدِ احتُضِرَ فاشْهدْنَا ، فأَرسَلَ يقْرِئُ السَّلامَ ويَقُول : « إن للَّه مَا أَخَذَ، ولهُ مَا أعْطَى، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بأجَلٍ مُسمَّى ، فلتصْبِر ولتحْتسبْ » فأرسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسمُ عَلَيْهِ ليأْتينَّها. فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ، وَمُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ ، وَأُبَيُّ بْنَ كَعْبٍ ، وَزَيْدُ بْنِ ثابِتٍ ، وَرِجَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم الصبيُّ ، فأقعَدَهُ في حِجْرِهِ ونَفْسُهُ تَقعْقعُ ، فَفَاضتْ عَيْناهُ ، فقالَ سعْدٌ : يَا رسُولَ الله مَا هَذَا ؟ فقالَ: « هَذِهِ رَحْمَةٌ جعلَهَا اللَّهُ تعَلَى في قُلُوبِ عِبَادِهِ » وفي روِايةٍ : « في قُلُوبِ منْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ منْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمَعْنَى «تَقَعْقَعُ»: تَتحَرَّكُ وتَضْطَربُ.

الشرح

الحديث الشريف عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنهما-، وزيد بن حارثة كان مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عبداً، فأهدته إليه خديجة -رضي الله عنها- فأعتقه، فصار مولى له، وكان يُلَقَّب بِحِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي حبيبه، وابنه أيضاً حِبّ، فأسامة حبه وابن حبه رضي الله عنهما، ذكر أن إحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه رسولا، تقول له إن ابنها قد احتضر، أي: حضره الموت. وأنها تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحضر، فَبَلَّغَ الرسولُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ((مُرْها فَلْتَصْبِر وِلْتَحْتَسِبْ، فإنَّ لله ما أخَذَ ولَهُ ما أَعْطى، وكُلُّ شيءٍ عندَهُ بأجلٍ مُسَمَّى)).

أمر النبي عليه الصلاة والسلام الرجل الذي أرسلته ابنتُهُ أن يأمر ابنتَهُ -أم هذا الصبي- بهذه الكلمات:

قال: ((**فَلْتَصْبِر**)) أي: تحتسب الأجر على الله بصبرها؛ لأن من الناس من يصبر ولا يحتسب، يصبر على المعصية ولا يتضجَّر، لكنه ما يؤمل أجرها على الله فيفوته بذلك خير كثير، لكن إذا صبر واحتسب الأجر على الله، يعني: أراد بصبره أن يثيبه الله ويأجره، فهذا هو الاحتساب ((**مُرْها فَلْتَصْبِرْ**))

يعني على هذه المصيبة ((**وَلْتَحْتَسِبْ**)) أجرها على الله عز وجل. قوله: ((فإنَّ **لله ما أخَذَ وَلَهُ ما أَعْطَى**)) هذه الجملة عظيمة؛ إذا كان الشيء كله لله، إن أخذ منك شيئاً فهو ملكه، وإن أعطاك شيئاً فهو ملكه، فكيف تسخط إذا أخذ منك ما يملكه هو؟

عليك إذا أخذ الله منك شيئا محبوباً لك؛ أن تقول: هذا لله، له أن يأخذ ما شاء، وله أن يعطي ما شاء.

ولهذا يُسَنُّ للإنسان إذا أُصيب بمصيبة أن يقول ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) يعني: نحنُ ملكٌ لله يفعلُ بِنا ما يَشاء ، كذلك ما نحبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له- عز وجل- له ما أخذ وله ما أعطى، حتى الذي يعطيك أنت لا تملكه، هو لله، ولهذا لا يمكن أن تتصرف فيما أعطاك الله إلا على الوجه الذي أذن لك فيه؛ وهذا دليل على أن ملكنا لما يعطينا الله ملك قاصر، ما نتصرف فيه تصرفا مطلقاً، فلو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفاً مطلقا على وجه لم يأذن به الشرع قلنا له أمسك، لا يمكن ؛ لأن المال مال الله، كما قال سبحانه ﴿وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم﴾ [النور:٣٣]، المال مال الله، فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أُذِن لك فيه.

ولهذا قال: ((**ولله ما أخذ وله ما أعطى**)) فإذا كان لله ما أخذ، فكيف نجزع؟ كيف نتسخط أن يأخذ المالك ما ملك سبحانه وتعالى؟ هذا خلاف المعقول وخلاف المنقول!

قال: ((**وكل شيء عنده بأجل مسمى**)) كل شيء عنده بمقدار، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[الرعد: ٨]، بمقدار في زمانه، ومكانه، وذاته، وصفاته، وكل ما يتعلق به فهو عند الله مُقدَّر.

((**بأجل مسمى**)) أي: معين، فإذا أيقنت بهذا؛ إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى؛ اقتنعت. وهذه الجملة الأخيرة تعني أن الإنسان لا يمكن أن يغيّر المكتوب المؤجل لا بتقديم ولا بتأخير، كما قال الله﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[يونس ٤٩]، فإذا كان الشيء مقدراً لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلا فائدة من الجزع والسخط؛ لأنه وإن جزعت أو تسخطت لن تغيّر شيئاً من المقدور.

ثم إنّ الرسول أبلغ بنت النبي صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يُبَلِّغَه إياها، ولكنها أرسلت إليه تطلب أن يحضر، فقام عليه الصلاة والسلام هو وجماعة من أصحابه، فوصل إليها، فرُفِعَ إليه الصبي ونفسه تتقعقع؛ أي تضطرب، تصعدُ وتنزل، فبكى الرسول عليه الصلاة والسلام ودمَعَت عيناه. فقال سعد بن عباده وكان معه-هو سيد الخزرج-ما هذا؟ ظنَّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم بكى جزعاً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ((**هذه رحمة**)) أي بكيت رحمة بالصبي لا جزعاً بالمقدور.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**)) ففي هذا دليل على جواز البكاء رحمة بالمصاب.

إذا رأيت مصاباً في عقله أو بدنه، فبكيت رحمة به، فهذا دليل على أن الله تعالى جعل في قلبك رحمة، وإذا جعل الله في قلب الإنسان رحمة كان من الرحماء الذين يرحمهم الله عز وجل.

ففي هذا الحديث دليل على وجوب الصبر؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((**مرها فلتصبر ولتحتسب**)).

وفيه دليل أيضاً على أن هذه الصيغة من العزاء أفضل صيغة، أفضل من قوله بعض الناس: ((أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك)) هذه صيغة اختارها بعض العلماء، لكن الصيغة التي اختارها الرسول عليه الصلاة والسلام ((**اصبر واحتسب، فإن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى**)) أفضل؛ لأن المصاب إذا سمعها اقتنع أكثر.

والتعزية في الحقيقة هي تسلية وتقوية للمصاب أن يصبر، ولهذا قال العلماء رحمهم الله ((تُسَنُّ تعزية المصاب)) ويعزى الصديق لقوة صداقة بينهما مثلاً.

فالتعزية للمصاب سواءً كان قريبًا أو صديقًا أو جارًا بسبب لقوة العلاقة وتسلية له.

والمهم أنه يجب أن نعلم أن التعازي إنما هي لتقوية المصاب على الصبر وتسليته، فيختار لها من الكلمات أفضل ما يكون وأقرب ما يكون للتعزية، ولا أحسن من الكلمات التي صاغها نبينا صلى الله عليه وسلم.

* * *

٦-عنْ أبي عبدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْن الأَرتِّ رضيَ اللَّهُ عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم وَهُو مُتَوسِّدٌ بُردةً لَهُ في ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَد كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فَيُجْعلُ فِيهَا، ثمَّ يُؤْتِى بالْمِنْشارِ فَيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشطُ بِأَمْشاطِ الْحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، ما يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّه ليتِمنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمْوتَ لا يخافُ إِلاَّ الله والذِّئْبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري.

وفي رواية: «وهُوَ مُتَوسِّدٌ بُرْدةً وقَدْ لقِينَا مِنَ الْمُشْركِين شِدَّةً».

الشرح

حديث أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه يحكي ما وجده المسلمون من الأذية من كفار قريش في مكة، فجاؤوا يشكون إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ((**وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة**)) صلوات الله وسلامه عليه، فبيَّن النبي عليه الصلاة والسلام أن من كان قبلنا ابتُلي في دينه أعظم مما ابتلي به هؤلاء، يُحفر له حفرة ثم يلقى فيها، ثم يؤتى بالمنشار على مفرق رأسه ويشق، يمشط بأمشاط الحديد ما بين جلده وعظمه، بأمشاط الحديد يمشَّط، وهذا تعزير عظيم وأذية عظيمة.

ثم أقسم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الله سبحانه سيتم هذا الأمر، يعني سيتم ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من دعوة الإسلام، حتى يسيَر الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، (**ولكنكم تستعجلون**). أي: فاصبروا وانتظروا الفرج من الله، فإن الله سيتم هذا الأمر. وقد صار الأمر كما أقسم النبي عليه الصلاة والسلام.

ففي هذا الحديث آية من آيات الله، حيث وقع الأمر مطابقا لما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام.

وآية من آيات الرسول -عليه الصلاة والسلام -حيث صدَّقه الله بما أخبر به، وهذه شهادة له من الله بالرسالة، كما قال الله﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾[النساء ١٦٦].

وفيه أيضا دليل على وجوب الصبر على أذية أعداء المسلمين. وإذا صبر الإنسان ظفر !!

فالواجب على الإنسان أن يقابل ما يحصل من أذية الكفار بالصبر والاحتساب وانتظار الفرج، ولا يظُنَّ أن الأمر ينتهي بسرعة وينتهي بسهولة، قد يبتلي الله عز وجل المؤمنين بالكفار يؤذونهم وربما

يقتلونهم، كما قتل اليهود الأنبياء الذين هم أعظم من الدعاة وأعظم من المسلمين. فليصبر ولينتظر الفرج ولا يملَّ ولا يضجر، بل يبقى راسيًا كالصخرة، والعاقبة للمتقين، والله تعالى مع الصابرين.

فإذا صبر وثابر وسلك الطرق التي توصل إلى المقصود ولكن بدون فوضى وبدون استنفار وبدون إثارة، ولكن بطريق منظمة، لأن أعداء المسلمين يمشون على خطى ثابتة منظمة ويحصلون مقصودهم.

أما البسطاء الذين تأخذهم العواطف حتى يثوروا ويستنفروا، فإنه قد يفوتهم شيء كثير، وربما حصل منهم زَلَّة تفسدُ كل ما بنوا، إن كانوا قد بنوا شيئًا.

لكن المؤمن يصبر ويتَّئد، ويعمل بتؤدة ويوطِّن نفسه، ويتعامل بالحكمة مع الأعداء، فالرسول – عليه الصلاة والسلام –قال لأصحابه اصبروا، فمن كان قبلكم –وأنتم أحق بالصبر منه –كان يُعمَلُ به هذا العمل ويصبر، فأنتم يا أمة محمد أمة الصبر والإحسان، اصبروا حتى يأتي الله بأمره، والعاقبة للمتقين.

والله ولي التوفيق

انتهى مقرر الحديث الشريف

للمرحلة الثانوية